



## عبد الرحمن الباشا الإنسان

— د. مهجة الباشا - سورية —

**شاركت د. مهجة الباشا في ندوة تكريم عبد الرحمن رافت الباشا بدار الثقافة في ادلب، بكلمتين الأولى ممثلة لأسرة المحتفى به في حفل الافتتاح، والآخرى ضمن وقائع بحوث الندوة بعنوان: (عبد الرحمن الباشا الإنسان وأعماله الأدبية والعلمية) فقالت بعد أن قدمت إضاءة على نشأته في كنف جده ومراحل سنيه الأولى:**

يشيعه إلى مثواه الأخير، وأمر بدفنه في مقبرة الفاتح التي أوقف الدفن فيها منذ سنين لمكانته الرفيعة، وثوى فيها إلى جانب الكثير من العظماء من الصعابة والقادة والعلماء.

وقد أجمع أصدقاؤه وزملاؤه على خصال حميدة اتصف بها، أذكر منها: أنه كان مرييا فاضلا، وأستاذا جليلا قوي الشخصية مع تواضع ووقار، مهيب مع لطف معشر ولين جانب، عف اللسان لا يذكر أحدا بسوء، جم النشاط صادق العزيمة، كريم السجايا، واسع الأفق، غزير العلم، رصين الأسلوب، سخيا كريما قلما يخلو بيته من ضيف عابر أو مقيم.

وكان قويا في مواقف الحق لا ينافق ولا يداهن ولا يضعف، ولعل ذلك كان سببا في ميله إلى العزلة أحيانا، وشعوره بشيء من الانقباض، وكان كثيرا ما يعبر عن ذلك متمثلا بقول القاضي الجرجاني:

**يقولون لي: فيك انقباض وإنما**

**رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما**

**إذا قيل هذا مشرب قلت: قد أرى**

**ولكن نفس الحر تحتمل الظما**

وكذلك عندما كان يرفض المال الذي يورثه ذلا أو خضوعا فكان يتمثل بقوله:

.. وأخذت مظاهر هذا التكوين تترسخ في سلوكياته لتصبح سمة مميزة لشخصيته، من طموح لا حدود له، ووطنية تستهين بالموت من أجل الحرية، ونفس وثابة إلى المجد والعلواء محصنة بما تحمله كلمة المروءة من معان كريمة، من صدق وإخلاص ووفاء وإيثار وتقان في العمل، بقيت ملازمة له طوال حياته إلى أن وافاه اليقين.

إن هذه الصفات التي ذكرت لم أسقها لأنني في مقام لا بد فيه من المدح والثناء، بل لأنني وجدت لها إلى جانب صفات نبيلة أخرى في كل ما كتب عنه من قبل أصدقاؤه وزملائه وتلامذته، ولستها في أحاديث أقربائه الذين يكونون له الولاء والود والمهابة، وللجميع روايات كثيرة تؤكد عمق إيمانه بفضائل الأخلاق ومكارمها ورسوخها في نفسه، أذكر منها على سبيل المثال: مشاركته في المظاهرات ضد الإنكليز عندما رحل إلى مصر للدراسة رغم أنه تعهد للسلطات بعدم المشاركة فيها ولا أعيد إلى وطنه.

وقد صادف أن كنا وأسرتي في تركيا في الوقت نفسه (حين وفاته) فقدمنا مسرعين إلى العزاء، وكنا نحسب أنه سيكون صامتا حزينا لكننا فوجئنا بحشد كبير جدا من كبار الشخصيات والعلماء، وموكب مهيب

**وقالوا: توصل بالخضوع إلى الغنى**

**وما علموا أن الخضوع هو الفقر**

**وبيني وبين المال بابان حرما**

**علي الغنى نفسي الأبية والدهر**

**إذا قيل: هذا اليسر، عاينت دونه**

**مواقف خير من وقوفي بها العسر**

ولعل القيم العربية تجتمع وتلتقي في نفوس وعظماء الأمة وعلمائها؛ فها هو ذا المتبني يعبر عن القيم ذاتها بقوله:

**فاطلب العز في لظى وذو الذل ولو كان في جنان الخلود**

إن المقام ليضيق عن ذكر الكثير من المواقف النبيلة التي عددها له أحبته من الذين عاشوا إلى جانبه، واستظلوا بظله من أصدقاء وزملاء وتلامذة وأقرباء، وبما أنني من الأقرباء فأنا أشهد أنه كان نبيل النفس، سخي اليد، كريم الطباع، لا يخذل من يلجأ إليه، يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة، رقيقا مع زوجته، عطوفا على أبنائه، سمحا مع أقربائه، رحمه الله وأحسن إتيه. وأذكر أنه كان صاحب الفضل في دفعي إلى دراسة اللغة العربية وأدائها متوسما بي أن أتابع الطريق الذي سار فيه على هدى الذين نافحوا عن اللغة العربية، وردوا عنها كيد الكائدين. ومازلت أحاول أن أكون كما تمنى، لكنني أبدا أراه يقف على جبل شامخ وأنا مازلت

أسفل سفحه، وأكتفي بقول صديقه الدكتور الأديب عبد القدوس أبو صالح الذي لخص لنا مكانته الأدبية في قوله: « كان الدكتور عبد الرحمن الباشا -رحمه الله- من فرسان البيان، وممن نذروا أنفسهم للدفاع عن لغة القرآن، وقد أبدع بقلمه البليغ نتاجا أدبيا رفيعا، سيبقى ذخرا للأجيال ومنازة للأدباء».

هذا هو الأديب عبد الرحمن رأفت الباشا، إنسانا وأديبا وعالما! ولئن احتضى زملاؤه وتلامذته في المملكة العربية السعودية وفي تركيا عند وفاته بتأيينه وورثائه فإنه في وطنه لم يعلن عن خبر وفاته، ولم يعرف بها إلا قلة من أقربائه، ولذلك فأسرة الفقيد اليوم يتقدمون بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى وزارة الثقافة متمثلة بسيادة الوزير الفاضل الدكتور رياض نعان آغا الذي أعاد الأمور إلى نصابها، بحفل التكريم هذا، فقرت به عيوننا، وسرت به نفوسنا.

إن فضل ترسيخ شعور الاعتزاز في نفوس أبناء المبدعين ومحبيهم وما يعكس ذلك من تشجيع على مواصلة مسيرة العطاء فيمن يريد اقتفاء أثرهم يعود إلى من شجع على ذلك، وحث عليه، فليسيادة الوزير أسمى آيات الشكر، ولن أعد لهذه الندوة وعمل على إنجاحها أسمى آيات العرفان، ولجهود إدارة المركز الثقافي في إدلب وأسرته الكريمة كل الحب والتقدير ■

«أيها الأعمى: وأنتم تكرمون اليوم علما من أعلام هذه المحافظة بل شمسا من شمس معارفها، طافت على أقطار عدة حاملة النور والخير غير المنقطع إلى قيام الساعة، فقد ترك ما يقرب من خمسين مؤلفا علما ينتفع به؛ اعلما أنما تكرمون أنفسكم وأنتم تعرفون لعالمنا هذا حقه، فلا يعرف الفضل إلا ذووه، ولا يقدر قدر الرجال إلا الرجال، فهي إذا مأثرة لكم تعدونها وبرمكم تؤجرون عليه».

عبد القادر الأسود - رئيس فرع اتحاد الكتاب العرب بإدلب

**شهادة**